المرأة المنانة

المنّ هو شعور الإنسان بالفخر والعزة والكرامة، لأنه أسدى معروفًا لمن يحتاجه ..أو قدم مساندة مالية أو معنوية فى وقت كانت حاجة هذا الشخص إليها ماسة ..ولكن إلى هذا الحد ليس هناك ملامة على صاحب هذا الشعور..ولكن كل اللوم يتأتى حينما يتخطى الشعور جدران هذا الفرد، ويعلن على الملأ إننى صاحب فضل ويد على هذا الإنسان، حينئذ يتضائل حجم الآخذ ويشعر بنوع من الألم والحزن والخزى ..ويتمنى لو أن عقارب الزمن عادت للوراء فإنه سيرفض تلك اليد وسيوصد بابه أمام تلك المعونة، حتى يحفظ ماء وجهه وكرامته.

المنّ يعد من الرذائل الأخلاقية والاجتماعية التى يبتلى بها المحسنون. ولا يحميهم من سهامها الحارقة القاذفة إلا موانع الإيمان الزاجرة المذكرة إياهم أن صاحب الفضل الأول واليد الطولى هو الله **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾**[1] ولولا فضل الله عليهم ما كانوا وما كان منهم ..لقد أبى الله فى علیائه هذا الخلق واستنكره ورفض أن يعلن الأعراب حين أسلموا أنهم أصحاب فضل على الإسلام ..وبين خطأ ما اعتقدوه وقالوه وبين أن الإسلام هو صاحب الفضل على جميع المسلمين ..وأن الفضل كله بيد الله يؤتيه من يشاء ..قال تعالى: **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾**[2].

ويمتدح الله أصحاب الخلق الكريم الذين يتخفون عن أعين الناس ويتصدقون وينفقون فى سبيل الله من أجل رضائه وحده ..ويحرصون على ألا تضيع حسناتهم هباء عن طريق إتباعهم بالمن والأذى لمن أعطوهم..

---

[1] سورة النحل (٥٣).

[2] الحجرات (١٧)

فيقول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾. البقرة (٢٦٢، ٢٦٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. البقرة (٢٦٤، ٢٦٥)

في الآيات السابقة يعرض القرآن صورة جميلة ترمى بظلالها على حالتين من البشر: الأولى هم أولئك الذين ينفقون ويتبعون الإنفاق بالمن والأذى، فعملهم هذا مثل التراب الملقى على صخر أملس فهطل عليه مطر شديد فأزاله تمامًا (وهو المن فى تلك الصورة) والثانية الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ومرضاته فأعمالهم الكريمة مثل جنة بمكان مرتفع أرضها طيبة، وأتاها مطر طيب، فآتت أضعاف ما هو متوقع لها من الخيرات والنباتات والزروع، وإذا لم يأتها هذا المطر فإن كمية المطر المعتدلة الهاطلة كفيلة بإنبات جيد وكريم من تلك الجنة..

ويمتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء الذى لا يمن على عباد الله بالعطاء بقوله فى حديثه الصحيح الذى رواه الشيخان إنه من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله **(رجل أنفق بيمينه ولم تعلم شماله ما أنفقت يمينه)** ..إلى هذا الحد يكون التخفى وعدم الإعلان حرصًا على بقاء الثواب وثباته والرغبة فى مضاعفته ..وقيل: إذا شعر المحسن أنه مسىء فقد أحسن وإذا ظن أنه قد أحسن فقد أساء.

المرأة المنانة هى من ذلك الصنف الردىء رغم معطياته، فهو يمن ويفتخر ويعلن اليوم ما أخفاه بالأمس، ويعلن فى الغد ما يصنعه اليوم من موقف كريم مع محتاج بهدف إظهار غنى وكرم المعطى من ناحية ..وإظهار فقر وذلة الآخذ

من ناحية أخرى!! فهى منانة منذ أن كانت تلميذة فى المدرسة على أقرانها الفقراء من التلميذات ..وهى منانة مع صويحباتها فى الصغر والكبر ..وهى منانة مع جيرانها المحتاجين إليها ..منانة على أخيها وأخواتها إذا ما وجدت معارضة لسلوكها من أهلها أو قدموا نقدًا أو استهجانًا لفكرة من أفكارها!! وقد يتصاعد هذا الأمر حتى أنها تمن على أمها وأبيها إذا احتاجا يومًا ثم طالباها فى يوم آخر بتعديل بعض السياسات المؤلة التى تتبعها لتمنع أذاها عن غيرها ..والعجيب أنها قد تخص بالمن نوعية خاصة من المعارف أو الأقارب أو الأصدقاء أو تكون منانة على الجميع ..هى بعد الزواج قد تظهر المن والأذى مع زوجها فى صورة من الصور البغيضة التى تساهم فى بذر الشقاق والاختلاف بدلا من المحبة والأئتلاف، وفرش مداخل التفاهم بينها وبين زوجها بالأشواك بدلاً من الورود، ورغم قرب جسديهما فإن المسافة بين القلبين والعقلين والروحين تتباعد ليصبح أحدهما فى أقصى الشرق والآخر فى أقصى الغرب ..أو يتجه الأول إلى الشمال بينما يتجه الثانى فى سرعة كبيرة إلى الجنوب، فمتى يلتقيان على أرض الود والحب والاستقرار والتفاهم؟!.

هى تمن على بعلها أولاً بأنه لولاها ما تم هذا الزواج فى تلك الفترة القياسية، فقد تقدم إليها من يفوقه نسبًا ومكانة اجتماعية ومن هم أقدر ماديًا منه لكنها رفضت كل ذلك لترضى بنصيبها ..أو تقول له: لولا مساندة أبى لك فى العثور على الشقة ما تزوجنا إلا بعد عشر سنوات على الأقل ..!! أو تقول: لولا راتبى الشهرى الكبير ما استطعنا أن نفتح البيت ونعيش هذه العيشة ..أو تقول: لولا ما يرسله أخى إلىَّ أو أبى من أموال أو طعام لمددنا أيدينا للناس، نطلب العون.

إن المرأة المنانة مصابة بحالة تضخم وتورم فى كلمة (الأنا) ومدى إحساسها بها وهى تقولها، وتشعر بضعف بنية ونحافة وقصر قامة كلمة (أنتَ) حين تنطق بها.

لقد كانت السيدة عائشة رضوان الله عليها تعطر الصدقات قبل أن تضعها فى أيدى الفقراء، ولما سئلت عن ذلك أجابت: إن الصدقات تقع فى يد الله

أولا قبل يد الفقير، وأحب أن تقع فى يد الله معطرة ..وكانت لا تجعل يدها هى العليا وهى تقدم الصدقات، ولكن تجعلها السفلى ويد الآخذ هى العليا حفاظًا لشعوره وإحساسه!!

لقد أعلنها المسيح عليه السلام كلمة كريمة ما زالت تدوى فى آذان كل محسن ومقدم خير قال: إذا ما أحسن أحدكم فلا يقل أنا صنعت لكن فليقل الله صنع، وإذا أساء أحدكم فى فعل فلا يقل صنع الله ولكن فليقل أنا صنعت.

..وهكذا يفعل المحسنون ..ونقيض تلك الكلمات والمعانى ينطق بها لسان المنان وحاله فى كافة الأمور ..إن الإسلام عالج ظواهر التفسخ الاجتماعى الناشئ من تورم (الأنا)، بأن حرص على إذابتها تمامًا فى بوتقة (نحن) وبوتقة الأخوة فى الله ..قال رسول الله صلى عليه وسلم: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[1] ..وارتفع نجم المسلمين خفاقًا عاليًا فى السماء حينما كانوا يطبقون هذا الأمر ..لقد عاشوا بالإسلام وفيه ..وعاش الإسلام بهم وفيهم ..أحبوه وأحبهم ..فهموه وفهمهم ..ورفعوه فوق كل الرؤوس ورفعهم ..لم يعرفوه كلمات أو ترنيمات أو احتفاليات ومناسبات، لكن عرفوه عقيدة فى الفكر ..ونبضًا فى القلب ..وخفقانًا فى الوجدان ..ونزوعًا فى السلوك ..وتساوى الجميع أغنياء وفقراء، أمراء وخفراء ..سادة وعبيد ..وتنافس الكبار والصغار ..الذكور والإناث، ليس فى إحراز مجد دنيوى، بل فى إحراز مجد أخروى، لا تسجله أيادى البشر، بل تسجله أيادى ملائكة أبرار أطهار ..فلا منٌّ ولا حسد ..ولا حقد ولا بغضاء ..قال عليه الصلاة والسلام (**لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منانَ**)[2] أى كل ماكر مخادع. وكل بخيل ..وكل منان يعطى ثم يمن.

المرأة المنانة لو علمت حقيقة الإسلام ووحدانية الله لنزعت من نفسها كل رداء أنانية ومنٌّ خوفا على جسدها من الدنس الخلقى ..ولارتدت فى الحال ثوب المتواضعة لله العارفة بفضله وكرمه ..الطامعة فى عفوه ..الناكرة لذاتها

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الترمذى.

..المراعية لذوات غيرها. قال عليه الصلاة والسلام: **(إياكم والمنَّ بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر)**.[1]

والمرأة المسلمة الناكرة لذاتها والمحبة لذات زوجها فهى دومًا تفعل ولا تتحدث ..تضحى وتعطى ولا تمنَّ ..تصغر أعمالها وإن عظمت، وتعظم أعمال غيرها وإن صغرت!! ترفع كرامة زوجها ولا تضعها ..تمجد أعماله ولا تمتهنها ..تذكره دومًا بالخير وتذكره بأفضاله وتشكره على خلقه وأعماله ..هى تعرف كيف تعزف على أوتار الحب وقيثارة القلب الصادق لتشعر زوجها أن الله منحه أعظم ثروة وعطاء ..منحه قلب إنسانة عظيمة يتمنى أن يمكث معها وتمكث معه، ويبارك الله له فيها ويبارك لها فيه ..ويجمع بينهما فى خير الدنيا والآخرة.

إن إنكار الذات وإضعاف (الأنا) لهو نوع من التواضع الكريم لله. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: **(من تواضع لله رفعه الله، فهو فى نفسه ضعيف، وفى أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله، فهو فى أعين الناس صغير، وفى نفسه كبير، حتى لو أهونُ عليهم من كلب أو خنزير)**[2]

وقال عليه الصلاة والسلام: **(إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد)** وقال: **(ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** رواه مسلم.

فإذا كان للمرأة فضل، أو لأهلها يد طولى على الزوج، فلتحذر أن تذكره أو تُذكر أهله أو أصحابه أو من يعرفونه من الناس عن قصد أو غير قصد ما قدمته أو تسهم به من عون للزوج ..ولو على سبيل المزاج مثل: نعم إن ظروف المجتمع الآن قاسية وقد كانت كذلك معنا أنا وزوجى قبل الزواج ولكن أبى وأمى قررا أن يساهما مساهمة كبيرة حتى نخرجه من هذا المأزق ومازالا يفعلان كذا وكذا.

---

(١) ذكره الإمام الذهبى فى كتاب الكبائر ص ١٥٢.

(٢) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٥٧٣٧/٣ ، وعزاه إلى أبى نعيم عن عمر

ورب قائل يقول: وهل أخطأت تلك المرأة حين قررت الحقيقة؟ ..وهل ينكر الزوج ما قدمته الزوجة وأهلها أو ما تقدمه هى كل شهر؟ ..والجواب هنا يتأتى من خلال هذا المثال: إن تقرير الحقائق فى وقت لم تطلب فيه يعد إهانة كبرى لمن يتصل بهم هذه الحقيقة.

فإذا فكثيرًا ما يترتب على تلك الحماقة التى ترتكبها بعض النساء المصابات بتضخم فى ذواتهن، الكثير من المشاكل الزوجية، وينقلب الحب إلى بغضاء، والصداقة إلى عداء ..والمودة إلى قطيعة عمياء ..لذا وجب على الآباء أن يعلموا بناتهم آداب الحديث وحسن انتقاء كلمات المجاملة والود والتكريم والاحترام، ليس مع الغرباء والأجانب فقط، بل مع الأقارب والأصدقاء، وكذلك عدم نسيان ذلك مع الأزواج حين ينتقلن للعيش معهم فى البيوت!! ومن أجمل ما قيل فى وصف تلك المرأة المنانة ما قاله الخطاب بن المعلى المخزومى لابنه وهو يعظه: يا بنى إن زوجة الرجل سكنه، ولا عيش له مع خلافها، فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة ..واعلم أن النساء أشد اختلافًا من أصابع الكف، فتوقّ منهن (أى تجنب) كل ذات بذاء مجبولة على الأذى. فمنهن المعجبة بنفسها، والمزرية ببعلها إن أكرمها رأته لفضلها عليه ..لا تشكره على جميل، ولا ترضى منه بقليل، لسانها عليه سيف صقيل ..قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها، فلا تستحى من أعوارها، ولا تستحى من جارها، كلبه هرارة مهارشة عقاره ..وجه زوجها مكلوم، وعرضه مشتوم، لا ترعى عليه لدنيا ولا دين ولا تحفظه لصحبة ولا كثرة بنين، حجابه مهتوك ..سره منشور، وخيره مدفون ..يصبح كئيبًا ويمسى عاتبًا ..شرابه مر، وطعامه غيظ، وولده ضياع، وبيته مستهلك ..وثوبه وسخ ورأسه أشعث ..إن ضحك فواهن وإن تكلم فمتكاره ..نهاره ليل وليله ويل.

لذا يجب على الرجل قبل زواجه أن يتعرف على طبيعة زوجته منذ الصغر من خلال أهلها وجيرانها وصاحباتها فإن كانت منانة على زميلاتها ..جارتها ..أخواتها ..فحتمًا ستكون مع زوجها كذلك، وليقرأ مرتين أو ثلاثة حال ذلك الزوج وحال أولاده كما وصفه هذا الأب الكريم لابنه، حتى يقى نفسه شرور تلك الزوجة المنانة!!